فقال الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن اسيد ابن العيد الاسود بوذن فقال تعالى
ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله اذهب عنكم عبيه الجاهلية اي كبرها
كلكم بنو ادم وادم من تراب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش لا ياتي الناس بالاعمال يوم
القيمة وتاتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فاقول هكذا اي اعرض عنكم فيه عليه السلام
انهم انما والوا الدنيا لم تنفعهم شيئا قريش ولما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين فناداهم بطنا
بطنا حتى قال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله اعملا
لانفسكما فاني لا اغني عنكما من الله شيئا غرهم زهرة الامور وعز ان شرفه بقدر تقواه وقد كان من عاده
ابايه التواضع اقتدى بهم في السفور والتواضع والانكار طاعنا في نسب نفسه بلسان حاله مهما انتمى اليهم
ولم يشبههم في التواضع والتقوى والخوف والاشفاق فان قلت فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم بعد قوله لفاطمة
وصفية اني لا اغني عنكما من الله شيئا الا ان لكما من الله رحما سابلها ابلالها قال عليه السلام انزجوا لتنوفلان
شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب فذلك يدل على انه شخص قرابته بالشفاعة فاعلم ان كل مسلم
فهو منتظر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والنسب ايضا حد يرتاد رجوه ولكن بشرط ان يبقى الله ان
يغضب عليه فلا ياذن لاحد في شفاعته فان الذنوب متفشية الى ما يوجب المقت فلا يوذن في الشفاعة والى ما
يبقى عنهم سبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا فان كل ذي مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة فيمن
اشتد عليه غضب الملك من الذنوب ما لا تنجي عنه الشفاعة وعنه العبارة بقوله تعالى لا يشفعون
الا لمن ارتضى وقوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وبقوله تعالى لا تنفع الشفاعة الا من اذن له
الرحمن ورضي له قولا واذا انقسمت الذنوب الى ما يشفع فيها والى ما لا يشفع وجب الخوف والاشفاق لا محالة
ولو كان كل ذنب يقبل فيه الشفاعة لما امر نبينا بالطاعة ولما نهى فاطمة رضي الله عنها عن المعصية ولكان
في الآخرة ياذن لها في اتباع الشهوات لتكمل لذتها في الدنيا وترك التقوى اعتمادا على طبيب حاذق
مشفق من ابراح اوعز وذلك جهل لان شعي الطبيب وهمته وجده ينفع في ازالة بعض الامراض لا في كلها
فلا يجوز ترك الحمية مطلقا اعتمادا على مجرد الطبيب لان الطب اثر على الجملة ولكن في الامراض الخفيفة وعند
غلبة اعتدال المزاج فهكذا ينبغي ان يفهم غاية الشفعاء من الانبياء والصلحاء الاقارب والاجانب فانه كذلك انتظما
وذلك لا يزيل الخوف والحذر وكيف يزيل وقد خاف الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقد كانوا
بمنزلة ان يكونوا انبياء من خوفهم الاخرة مع كمال تقواهم وحسن اعمالهم وصفاء قلوبهم وما سمعوه من عذر رسول الله
صلى الله عليه وسلم اياهم بالشفاعة عامة ولم يتكلوا عليها ولم يفارق الخضوع والخشوع قلوبهم فكيف يعجب
بنفسه ويتكل على الشفاعة من لم ير لمثل محبتهم وسابقتهم **الخامس** العجب بنسب السلاطين
الظلمة واعوانهم ممن ينتسب الى الدين والعلم وهذا غاية الجهل وعلاجه ان يتفكر في مخازيهم وما جرى لهم من الظلم

على عباد الله تعالى والفساد في دين الله وانهم سيقولون عند الله تعالى ولو نظر الى صورهم في النار
وانتنانهم ولقذارهم لاستنكف منهم ولتبرأ من الانتساب اليهم ولانكر على من نسبه اليهم استقذارا لهم واستحقارا
ولو انكشف له ذلك في القيمة وقد تعلق بخصمائهم والملائكة اخذون بنواصيهم يجرونهم على وجوههم الى جهنم
في مظالم العباد لنسبه الى الله تعالى منهم ولكان انتسابه الى الكلب والخنزير احب اليه من الانتساب اليهم بحق
اولاد الظلمة اذ عصمهم الله تعالى من ظلمهم ان يشكروا الله تعالى على سلامة دينهم ويستغفروا لابائهم ان كانوا
مسلمين فاما العجب بنسبهم فجمل بحض **السادس** العجب بكثرة العدد من الاولاد والخدم والغلمان والعشيرة
والاقارب والانصار والاتباع كما قال الكفار ونحن اكثر اموالا واولادا وكما قال يوم حنين المومنون ان يغلب اليوم
عن قلة وعلاجه بما ذكرناه من الكبر وهو ان يتفكر في ضعفه وضعفهم وان كلهم عبيد عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا
ولا نفعا وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ثم كم يعجب بهم وانهم سيفرون عنه اذا مات فيدفن في قبره
ذليلا مهينا وحده لا يرافقه ولد ولا اهل ولا قريب ولا حميم وعشيرته يسلمونه الى البلى والحيات والعقارب والدود ولا يغنون
عنه شيئا في احوج اوقاته اليهم وكذلك يفر يوم منه يوم القيمة يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه
وفصيلته التي تؤويه فاي خير فيمن يفارقك في اشد احوالك ويهربون منك وكيف تعجب به ولا تنفعك في القبر والقيمة
وعلى الصراط الا عملك فكيف تتكل على من لا ينفعك وتنسى من يعمل على ضرك ونفعك وموتك وحيوتك ونشرك
السابع العجب بالمال كما قال تعالى حكاية عن صاحب الجنتين اذ قال انا اكثر منك مالا واعز نفرا وراى
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس الى جنبه رجل فقير فانقبض منه وجمع ثيابه فقال
عليه السلام خشيت ان يعدوا الك فقره وذلك العجب بالغنى وعلاجه ان يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظيم
غوايله والى فضيلة الفقر وسبقهم الى الجنة في القيمة والى ان المال اعادة ورائح ولا اصل له والى ان اليهود من يزيد عليه
في المال والى قوله صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في حلة له فاعجبته نفسه اذ امر الله تعالى الارض فاخذته فهو
يتجلجل فيها الى يوم القيمة اشارة الى عقوبة اعجابه بماله ونفسه وقال ابو ذر كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم
فدخل المسجد فقال لي يا ابا ذر ارفع اسك وغض ازرتي فاذا رجل عليه ثياب جياد ثم قال ارفع اسك وغض ازرتي
فاذا رجل عليه خلقان فقال يا ابا ذر هذا عند الله خير من قراب الارض من مثل هذا وجميع ما ذكرناه
في كتاب الزهد وكثرة الدنيا وكثرة جمع المال بين حقارة الاغنياء وشرف الفقراء عند الله تعالى فكيف يتصور
من المومن ان يعجب بثروته بل لا يخلو المومن عن الخوف من تقصيره في القيام بحقوق المال واخذه من حله
ووضعه في حقه ومن لا يفعل ذلك لا يصير الى الخزي والبوار فكيف يعجب بنفسه **الثامن** العجب بالراي
الخطا قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقد اخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ذلك يغلب على آخر هذه الامة وبذلك تهلك الامم اذا افترقوا وكل معجب
برايه وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع اهل البدع والضلال انما اصروا عليه لعجبهم برايهم وبالبدعة هي استحسان

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)